

من خطبه المتفرقة صلوات الله وسلامه عليه

(٥٠) أخرج أبو يعلى والبخاري: عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال:

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على أعواد المنبر يقول:

«اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنَّهَا تُقِيمُ الْعُوجَ، وَتَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ، وَتَقَعُ مِنَ الْجَائِعِ مَوْعِعَهَا مِنَ الشَّبَعَانِ».

كذا في الترغيب (ج ٢ ص ١٣٤)

(٥١) وأخرج أحمد وابن أبي شيبة وابن ماجه: عن عامر بن ربيعة.

عن أبيه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخضب ويقول:

«مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تَصَلِّيْ عَلَيْهِ مَا صَلَّى عَلَيَّ، فَلْيُقَلِّ عَبْدٌ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِيُكْثِرْ».

كذا في الترغيب (ج ٣ ص ١٦٠)

(٥٢) وأخرج ابن جرير: عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قام رسول

الله صلى الله عليه وسلم، فبينا خطيباً فقال:

«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُرْحَزَ عَنِ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ فَلْيَدْرِكْهُ مَوْتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَيَأْتِ إِلَى النَّاسِ مَا يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ».

كذا في الكثر (ج ١ ص ٧٦)

(٥٣) وأخرج الشيخان: عن أنس رضي الله عنه قال : خطب رسول الله صلوات الله عليه خطبة ما سمعت مثلها قط فقال :

« لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحَكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا » . فغَطَّى أصحاب رسول الله صلوات الله عليه وجوههم لهم خنين^(١) .

وفى رواية : بلغ رسول الله صلوات الله عليه عن أصحابه شيء فخطب فقال :
« عُرِضْتُ عَلَى الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحَكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا » . فما أتى على أصحاب رسول الله صلوات الله عليه يوم أشد منه ، غطوا رؤوسهم ولهم خنين .

كذا فى الترغيب (ج ٥ ص ٢٢٦)

(٥٤) وأخرج ابن أبي حاتم : عن أبى سعيد أن رسول الله صلوات الله عليه خطب فأتى على هذه الآية :

﴿ إِنَّهُ مِنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴾^(٢) .

قال النبى صلوات الله عليه :

« أَمَّا أَهْلُهَا الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَلَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيُونَ ، وَأَمَّا الَّذِينَ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا فَإِنَّ النَّارَ تَمْسُهُمْ ثُمَّ يَقُومُ الشَّقْعَاءُ فَيَشْفَعُونَ ،

(١) الخنين : ضرب من البكاء دون الانتحاب ، وأصله خروج الصوت من الأنف .

(٢) سورة طه : ٧٤ .

فَتُجْعَلُ الضَّبَائِرُ (١) فَيُؤْتَى بِهِمْ نَهْرًا يُقَالُ لَهُ الْحَيَاةُ - أَوْ الْحَيَوَانُ -
فَيَنْبِتُونَ كَمَا يَنْبِتُ الْعُشْبُ فِي حَمِيلِ (٢) السَّيْلِ».

كذا في التفسير لابن كثير (ج ٣ ص ١٥٩)

(٥٥) وأخرج ابن أبي الدنيا وابن النجار: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

قام فينا رسول الله ﷺ فقال:

«أَحْسِنُوا - يَا أَيُّهَا النَّاسُ - بَرِّبِ الْعَالَمِينَ الظَّنَّ، فَإِنَّ الرَّبَّ عِنْدَ ظَنِّ
عَبْدِهِ بِهِ».

كذا في الكتر (ج ٢ ص ١٤٣)

(٥٦) وأخرج الحاكم في مستدركه (ج ٤ ص ٤٣٦): عن أبي زهير

الثقفى رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في خطبته:

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ.. تَوْشِكُونَ أَنْ تَعْرِفُوا أَهْلَ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ -

أَوْ قَالَ : خِيَارِكُمْ مِنْ شِرَارِكُمْ ». فقال رجل من الناس: بِمَ يَا رَسُولَ

اللَّهِ ؟ . قال: « بِالنَّبَأِ الْحَسَنِ وَالنَّبَأِ السَّيِّئِ، أَنْتُمْ شُهُودٌ بَعْضِكُمْ

عَلَى بَعْضٍ » .

(قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال

الذهبي: صحيح) .

(١) الجماعات، جمع ضبارة .

(٢) هو ما يجيء به السيل من طين أو غثاء أو غيره، بمعنى: محموله .

(٥٧) وأخرج الحسن بن سفيان وأبو نعيم: عن عبد الله بن ثعلبة عن أبيه رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام خطيباً فأمر بصدقة الفطر صاع تمر أو صاع شعير عن كل واحد، أو قال:

«عَنْ كُلِّ رَأْسٍ - الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ وَالْحُرِّ وَالْعَبْدِ».

كذا في الكنز (ج ٤ ص ٣٣٨)

(٥٨) وأخرج ابن مردويه، والبيهقي في شعب الإيمان، وابن عساكر: عن الصائب بن مهجان، من أهل الشام، وكان قد أدرك الصحابة، قال:

لما دخل عمر رضي الله عنه الشام حمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ثم قال:

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا خطيباً كقيامي فيكم، فأمر بتقوى الله، وصلة الرحم، وصلاح ذات البين، وقال:

«عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ - وَفِي لَفْظٍ: بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ - فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الْإِثْنَيْنِ أَبْعَدُ، لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ تَالَتْهُمَا، وَمَنْ سَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ وَسَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ فَهِيَ أَمَارَةٌ الْمُسْلِمِ الْمُؤْمِنِ. وَأَمَارَةُ الْمُنَافِقِ: الَّذِي لَا تَسْوُؤُهُ سَيِّئَتُهُ وَلَا تَسْرُهُ حَسَنَتُهُ، إِنْ عَمِلَ خَيْرًا لَمْ يَرْجُ مِنَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ

الخيرِ ثواباً، وإنْ عَمِلَ شَرًّا لَمْ يَخَفْ مِنَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الشَّرِّ عَقُوبَةً،
فَأَجْمِلُوا فِي طَلَبِ الدُّنْيَا فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ تَكَفَّلَ بِأَرْزَاقِكُمْ، وَكُلُّ سَيِّئَةٍ لَهُ
عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ عَامِلاً، اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ عَلَى أَعْمَالِكُمْ فَإِنَّهُ يَمْحُو
مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ .

صلى الله على نبينا محمد وعلى آله، وعليه السلام ورحمة الله،
والسلام عليكم .

(قال البيهقي وابن عساكر: هذه خطبة عمر بن الخطاب على أهل
الشام أثرها عن رسول الله ﷺ) .

كذا في الكنز (ج ٨ ص ٢٠٧)

obeikandi.com

من مواعد الرسول صلوات الله وسلامه عليه ووصاياه

* أخرج ابن حبان في صحيحه واللفظ له، والحاكم وصححه: عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله... ما كانت صحف إبراهيم؟ قال:

«كانت أمثالاً كلها.. أيها الملك المسلّط المُبتلى المغرور.. إنني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض.. ولكني بعثتك لتردّ عني دعوة المظلوم، فإني لا أردّها وإن كانت من كافر. وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله: أن يكون له ساعات، فساعة ينجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكر فيها في صنع الله عزّ وجلّ، وساعة يخلو فيها لحاجته من المَطعمِ والمَشربِ. وعلى العاقل أن لا يكون ظاعناً^(١) إلا للثلاث: تزود لمعاد، أو مرمة لمعاش، أو لدّة في غير مُحرم. وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مُقبِلاً على شأنه، حافِظاً لسانه، ومن حسب كلامه من عمله، قلّ كلامه إلا فيما يعنيه».

قلت: يا رسول الله... فما كانت صحف موسى عليه السلام؟

(١) الظعن، أي: السفر.

قال: «كانت عبرًا كُلُّهَا: عَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالْمَوْتِ ثُمَّ هُوَ يَفْرَحُ، عَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالنَّارِ ثُمَّ هُوَ يَضْحَكُ، عَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالْقَدْرِ ثُمَّ هُوَ يَنْصَبُ، عَجِبْتُ لِمَنْ رَأَى الدُّنْيَا وَتَقَلَّبَهَا بِأَهْلِهَا ثُمَّ اطمأنَّ إِلَيْهَا، عَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالْحِسَابِ عَدًّا ثُمَّ لَا يَعْمَلُ» .

قلت: يا رسول الله . . أوصني . قال:

«أوصيك بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا رَأْسُ الْأَمْرِ كُلِّهِ» . قلت: يا رسول الله . .

زدني . قال:

«عليك بتلاوة القرآن وذكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ فَإِنَّهُ نُورٌ لَكَ فِي الْأَرْضِ

وَذِكْرٌ لَكَ فِي السَّمَاءِ» . قلت: يا رسول الله . . زدني . قال:

«إِيَّاكَ وَكَثْرَةَ الضَّحِكِ فَإِنَّهُ يُمِيتُ الْقَلْبَ وَيَذْهَبُ بِنُورِ الْوَجْهِ» .

قلت: يا رسول الله . . زدني . قال:

«عليك بِالْجِهَادِ فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ أُمَّتِي» . قلت: يا رسول الله . . زدني .

قال:

«أَحِبَّ الْمَسَاكِينَ وَجَالِسَهُمْ» . قلت: يا رسول الله . . زدني . قال:

«انظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ تَحْتَكَ وَلَا تَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكَ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ

لَا تَزُدَّرِي^(١) نِعْمَةَ اللَّهِ عِنْدَكَ» . قلت: يا رسول الله . . زدني . قال:

(١) الازدراء: الاحتقار .

« قُلِ الْحَقُّ وَإِنْ كَانَ مُرَأً ». قلت: يا رسول الله . . زدنى . قال :

« لِيَرُدَّكَ عَنِ النَّاسِ مَا تَعْلَمُهُ مِنْ نَفْسِكَ، وَلَا تَجِدُ^(١) عَلَيْهِمْ فِيمَا تَأْتِي، وَكَفَى بِكَ عَيْباً أَنْ تَعْرِفَ مِنَ النَّاسِ مَا تَجْهَلُهُ مِنْ نَفْسِكَ، وَتَجِدَ عَلَيْهِمْ فِيمَا تَأْتِي ». ثم ضرب بيده على صدرى ، فقال :

« يَا أَبَا ذَرٍّ.. لَا عَقْلَ كَالنَّدْبِيرِ، وَلَا وَرَعَ كَالكَفِّ، وَلَا حَسَبَ كَحُسْنِ الْخَلْقِ » .

قال المنذرى فى الترغيب (ج ٣ ص ٤٧٣): انفرده إبراهيم بن هشام بن يحيى الغسانى عن أبيه، وهو حديث طويل فى أوله ذكر الأنبياء عليهم السلام، ذكرت منه هذه القطعة لما فيها من الحكم العظيمة والمواعظ الجسيمة . انتهى .

وقد أخرج الحديث - بتمامه - أبو نعيم فى الحلية (جا ص ١٦٦) من طريق إبراهيم بن هشام .

وأخرجه أيضاً - بتمامه - الحسن بن سفيان وابن عساکر، كما فى الكنز (ج ٨ ص ٢٠١) .

* وأخرج الرامهرمزى فى الأمثال: عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يوماً لأصحابه:

«أَتَدْرُونَ مَا مَثَلُ أَحَدِكُمْ وَمَثَلُ أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَعَمَلِهِ» ؟ . فقالوا: الله ورسوله أعلم . فقال:

(١) أى: لا تغضب .

«إِنَّمَا مِثْلُ أَحَدِكُمْ وَمِثْلُ مَالِهِ وَأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَعَمَلِهِ: كَمِثْلِ رَجُلٍ لَهُ ثَلَاثَةُ إِخْوَةٍ ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ دَعَا بَعْضَ إِخْوَتِهِ ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَدْ نَزَلَ بِي مِنَ الْأَمْرِ مَا تَرَى.. فَمَالِي عِنْدَكَ، وَمَالِي لَدَيْكَ؟. فَقَالَ: لَكَ عِنْدِي أَنْ أَمْرُضَكَ، وَأَنْ لَا أَمَلَكَ، وَأَنْ أَقُومَ بِشَأْنِكَ، فإِذَا مِتَّ غَسَلْتُكَ وَكَفَّنْتُكَ وَحَمَلْتُكَ مَعَ الْحَامِلِينَ.. أَحْمَلُكَ طَوْرًا، وَأَمِيطُ عَنْكَ طَوْرًا، فإِذَا رَجَعْتَ أَثْنَيْتُ عَلَيْكَ بِخَيْرٍ عِنْدَ مَنْ يَسْأَلُنِي عَنْكَ: هَذَا أَخُوهُ الَّذِي هُوَ أَهْلُهُ فَمَا تَرَوْنَهُ؟. قالوا: لَا نَسْمَعُ طَائِلًا^(١) يَا رَسُولَ اللَّهِ . فقال :

«ثُمَّ يَقُولُ لِأَخِيهِ الْآخَرَ: أَتَرَى مَا قَدْ نَزَلَ بِي .. فَمَالِي لَدَيْكَ، وَمَالِي عِنْدَكَ؟. فيقول: لَيْسَ لَكَ عِنْدِي غَنَاءٌ إِلَّا وَأَنْتَ فِي الْأَحْيَاءِ ، فإِذَا مِتَّ ذُهِبَ بِكَ فِي مَذْهَبٍ، وَذُهِبَ بِي فِي مَذْهَبٍ، هَذَا أَخُوهُ الَّذِي هُوَ مَالُهُ، كَيْفَ تَرَوْنَهُ؟. قالوا: لَا نَسْمَعُ طَائِلًا يَا رَسُولَ اللَّهِ . فقال :

« ثُمَّ يَقُولُ لِأَخِيهِ الْآخَرَ: أَتَرَى مَا قَدْ نَزَلَ بِي وَمَا رَدَّ عَلَيَّ أَهْلِي وَمَالِي.. فَمَالِي عِنْدَكَ وَمَالِي لَدَيْكَ؟. فيقول: أَنَا صَاحِبُكَ فِي لَحْدِكَ، وَأَنْيِسُكَ فِي وَحْشَتِكَ، وَأَقْعُدُ يَوْمَ الْوِزْنِ فِي مِيزَانِكَ: هَذَا أَخُوهُ الَّذِي هُوَ عَمَلُهُ.. كَيْفَ تَرَوْنَهُ؟. قالوا: خَيْرٌ أَخٍ وَخَيْرٌ صَاحِبٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قال : « فَإِنَّ الْأَمْرَ هَكَذَا » .

(١) أى : لَا نَسْمَعُ شَيْئًا فِيهِ مَنَفْعَةٌ .

* * قالت عائشة : فقام إليه عبد الله بن كرز فقال : يا رسول الله . .
 أتأذن لى أن أقول على هذا آياتاً ؟ . فقال : «نعم» . فذهب فما بات إلا
 ليلة حتى عاد إلى رسول الله ﷺ ، فوقف بين يديه واجتمع الناس
 وأنشأ يقول :

فإنى وأهلى والذى قَدَمْتُ يدي كداعٍ إليه صَحْبَهُ ثم قائلُ
 لإخوته إذ هُمُ ثلاثةٌ إخوةٍ أعيِنوا على أمرِ بى اليومِ نازلُ
 فِراقٍ طويلٍ غيرُ مُتَّقى بهِ فماذا لديكم فى الذى هو غَائلٌ^(١)
 فقال امرؤٌ منهم: أنا الصاحبُ الذى أُطِيعُكَ فيما شِئْتَ قبلَ النَّزائِلِ^(٢)
 فأما إذا جَدَّ الفِراقُ فإبْئى لما بيننا من حَلَّةٍ^(٣) غيرُ واصلِ
 فُحْذُ ما أردتَ الآنَ منى فإبْئى سَيْسَلُكَ بى فى مَهيلٍ^(٤) من مَهائِلِ
 فإن تُبْقِنى لا تُبْقِ فاستنْفِذْنى وَعَجَلُ صلاحاً قبلَ حتفٍ^(٥) مُعاجِلِ
 وقال امرؤٌ^(٦) : قد كنتُ جدًّا أُحِبُّهُ وأوثرُهُ من بينهم فى النَّفاضِلِ
 غَنائى أئى جاهدُك ناصحٌ إذا جَدَّ جِدُّ الكربِ غيرُ مُقاتِلِ
 ومُتَّبِعُ الماشينِ أمشى مُشيِّعًا أُعِينُ برِفقٍ عَقِبَهُ كُلَّ حَامِلِ

(١) أى : الموت .

(٢) أى : الصداقة . والمراد بالمرء هنا المال .

(٣) أى : فى طريقٍ آخر ، والمراد أن ورثته سيأخذون المال وينفقونه كيفما شاءوا .

(٤) أى : الموت .

(٥) المراد هنا : الأهل .

إلى بيتِ مَثَوَاكَ الَّذِي أَنْتَ مُدْخِلٌ أَرْجِعْ مَقْرُونًا بِمَا هُوَ شَاغِلِي
كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ خُلَّةٌ وَلَا حُسْنٌ وَدَّ مَرَّةً فِي التَّبَادُلِ (١)
فَذَلِكَ أَهْلُ الْمَرَّةِ ذَاكَ غَنَاؤُهُمْ وَوَلَيْسَ وَإِنْ كَانُوا حِرَاصًا بِطَائِلِ
وَقَالَ امْرُؤُ (٢) مِنْهُمْ: أَنَا الْأَخُ لَا تَرَى أَخَا لَكَ مِثْلِي عِنْدَ كَرْبِ الزَّلَازِلِ
لَدَى الْقَبْرِ تَلْقَانِي هُنَاكَ قَاعِدًا أَجَادِلُ عَنْكَ الْقَوْلَ رَجَعَ التَّجَادُلُ
وَأَقْعُدُ يَوْمَ الْوِزْنِ فِي الْكِفَّةِ الَّتِي تَكُونُ عَلَيْهَا جَاهِدًا فِي التَّنَاقُلِ
فَلَا تَنْسِنِي وَاعْلَمْ مَكَانِي فَأَيْبُنِي عَلَيْكَ شَفِيقٌ نَاصِحٌ غَيْرُ خَائِلِ
فَذَلِكَ مَا قَدَّمْتَ مِنْ كُلِّ صَالِحٍ تُلَاقِيهِ إِنْ أَحْسَنْتَ يَوْمَ التَّوَاصُلِ

* * *

فبكى رسول الله ﷺ وبكى المسلمون من قوله، وكان عبد الله بن
كرز لا يمر بطائفة من المسلمين إلا دعوه واستشدهوه، فإذا أنشدهم
بكوا.

كذا في الكنز (ج ٨ ص ١٢٤)

وأخرجه أيضاً جعفر الفريابي في كتاب «الكنى» له وابن أبي الدنيا
في «الكفالة» كلهم من طريق محمد بن عبد العزيز الزهري عن ابن
شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله عنها - نحوه، كما في الإصابة (ج ٢
ص ٣٦٢).

(٢) وهو العمل الصالح.

(١) وهو البذل والعطاء.

* وأخرج أحمد وأبو داود وابن خزيمة: عن البراء بن عازب رضي الله عنه أنه قال: خرجنا مع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في جنازة رجل من الأنصار، فاتتهينا إلى القبر ولما يُلحَد. فجلس رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وجلسنا حوله وكأنَّ على رؤوسنا الطير، وفي يده عودٌ ينكتُ به في الأرض، فرفع رأسه فقال:

« اسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ - مرتين أو ثلاثاً - ثم قال: إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالَ عَلَى الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وَجوهَهُمُ الشَّمْسُ.. مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ^(١) مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ. ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتَهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ: اخْرُجِي إِلَى مَغْفَرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ. قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي^(٢) السَّقَاءِ، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَاطِيبٍ نَفْحَةٍ مِسْكِ وَوَجِدَتْ عَلَى وَجهِ الْأَرْضِ. قَالَ: فَيُصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمْرُونَ عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرَّوْحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فَلَانُ بْنُ فَلَانَ، بِأَحْسَنِ

(١) حنوط، كرسول: طيبٌ يُخلطُ للميمت خاصة، وكل ما طيب به الميت من مسك وغيره.

(٢) في: فم.

أسمائه التي كانوا يُسمّونهُ بها في الدنيا.. حتّى ينتهوا به إلى
 السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتَحُونَ له، فَيُفْتَحَ لهم. فَيُشَيِّعُهُ من كُلِّ سَمَاءٍ
 مُقْرَبُوهَا إلى السَّمَاءِ التي تليها حتّى يُنْتَهَى به إلى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ .
 فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ وَأَعِيدُوهُ إِلَى
 الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً
 أُخْرَى. قال: فَتَعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ ..
 فيقولان له: مَنْ رَبُّكَ؟. فيقول: رَبِّي اللهُ . فيقولان له: وما دينُكَ؟.
 فيقول: دِينِي الْإِسْلَامَ. فيقولان له: ما هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟.
 فيقول: هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ . فيقولان له: وما علمُكَ؟ . فيقول: قرأتُ
 كِتَابَ اللهِ فَأَمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ . فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ
 عَبْدِي فَأَفْرَشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبَسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَاباً إِلَى
 الْجَنَّةِ. قال: فَيَأْتِيهِ مِنْ رُوحِهَا (١) وَطِيبُهَا وَيُفْسِحُ له فِي قَبْرِهِ مَدُّ
 بَصَرِهِ. وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ .. حَسَنُ السِّيَابِ .. طِيبُ الرِّيْحِ ..
 فيقولُ: أُبَشِّرُ بِالَّذِي يَسْرُكُ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ . فيقولُ له:
 مَنْ أَنْتَ .. فَوَجْهُكَ الْوَجْهُُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ؟. فيقول: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحِ .
 فيقول: رَبُّ أَقَمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي. قال: وَإِنَّ الْعَبْدَ

(١) بفتح الراء وسكون الواو : الرحمة .

الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال على الآخرة : نزل إليه ملائكة من السماء سود الوجوه معهم المسوح^(١) فيجلسون منه مدد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة : اخرجي إلى سخط من الله وغضب.. فتفرق في جسده فينتزعها^(٢) كما ينتزع السفود^(٣) من الصوف المبلول.. فيأخذها. فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح.. ويخرج منها كأنتن ربح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملا من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث ؟. فيقولون: فلان بن فلان، باقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا، فيستفتح له فلا يفتح له .

ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿لَا تَفْتَحْ لَهُمُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾^(٤) فيقول الله: اكتبوا كتابه في سجين

(١) المسوح جمع مسح - كحمل وحمول -: الثوب الخشن .

(٢) أي : ملك الموت .

(٣) السفود - بوزن التنور -: الحديد التي يشوى بها اللحم .

(٤) سورة الأعراف : ٤٠ . وسم الخياط : ثقب الإبرة .

فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَفَطَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ (١) ثُمَّ قَالَ: فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جِسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فيقول: هاه هاه لا أدري. فيقولان له: مَا دِينُكَ؟ فيقول: هاه هاه لا أدري. فيقولان له: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فيقول: هاه هاه لا أدري. فينادى مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ.. فَأَفْرَشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَاِفْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ.. فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسُمُومِهَا، وَيَضِيقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ أَضْلَاعُهُ.. وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ.. قَبِيحُ الثِّيَابِ.. مُنْتَنُ الرِّيحِ.. فيقول: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ. فيقول: فَمَنْ أَنْتَ.. فَوَجَّهَكَ الْوَجْهَ يَجِيءُ بِالشَّرِّ؟. فيقول: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثِ. فيقول: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ..

* وأخرج أحمد والشيخان وأبو داود والنسائي، واللفظ للبخاري: عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، قال: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، إِذَا انْصَرَفُوا أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ - لِمَحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ -

(١) سورة الحج : ٣١ .

فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ. فَيُقَالُ لَهُ: انظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ فِي النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ، فِيرَاهُمَا جَمِيعًا.. وَيُقْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَيُمْلَأُ عَلَيْهِ خَضِرًا إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ. وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوْ الْمُنَافِقُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ . فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ. فَيُقَالُ لَهُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ^(١) وَيُضْرَبُ بِمِطْرَقٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ.. فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ^(٢)، وَيُضَيِّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ أَضْلَاعُهُ.»

* وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْمَوْتَى لِيُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ حَتَّىٰ إِنَّ الْبَهَائِمَ لَتَسْمَعَنَّ أَصْوَاتَهُمْ.»

* وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ: عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

«لَوْلَا أَنْ لَا تَدَافِنُوا^(٣) لِدَعْوَتِ اللَّهِ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ.»

(١) أى: لا عرفت الحق بنفسك ولا اتبعت من يعرف .

(٢) الثقلان: هما الجن والإنس .

(٣) تدافنوا- بفتح التاء ، على حذف إحدى التاءين- والمعنى: لولا الخوف من الموت

والدفن بسبب سماع ذلك لدعوت الله . . .

* وأخرج الشيخان: عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن عذاب القبر؟ فقال: «عذابُ القبرِ حقٌّ».

** (ولهذا) كان عثمان بن عفان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبُلَّ لحيتهُ ، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكى وتذكر القبر فتبكي؟ . فقال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول:

« القبرُ أوَّلُ منزلٍ مِنْ منازلِ الآخرةِ ، فإنْ نَجَا مِنْهُ فما بَعْدَهُ أيسرُ ، وإنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فما بَعْدَهُ أشدُّ مِنْهُ » .
وقال صلى الله عليه وسلم :

« مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ » .. أخرجه الترمذى وقال: حسن غريب ، ورزين وزاد: قال هانىء- مولى عثمان- : سمعتُ عثمان يُنشد :

فَإِنْ تَنَجَّ تَنَجُّ مَنْ ذِي عَظِيمَةٍ وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إِخَالَكَ نَاجِيَا

** (وهذا) معناه أن الموت هو الواعظ الحقيقي الذى ينبغى علينا أن نتعظ به ، ونعمل ألف حساب لما بعده . . قبل فوات الأوان . . وقبل أن نقول كما يحكى الله تعالى فى قرآنه مشيراً إلى ما سيقوله كل غافل عندما سيأتيه الموت . . وسيجد ملك الموت قائماً على رأسه لكى يقبض روحه :

﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدُقْ وَأَكُن مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ (١).

* * * ومن أجل هذا، فقد ورد في الحديث الشريف أن النبي ﷺ قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه :

« كَفَى بِالْمَوْتِ وَاعِظًا يَا عُمَرُ.. فَنَقَشَهُ عَمْرٌ عَلَى خَاتَمِهِ .

وروى كذلك أن النبي ﷺ قال :

« أَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِ هَازِمِ اللَّذَاتِ (٢) وَمَفْرَقِ الْجَمَاعَاتِ، وَتَوَسَّدُوهُ إِذَا نَمْتُمْ، وَاجْعَلُوهُ نُصْبًا أَعْيُنِكُمْ إِذَا قُمْتُمْ، وَاعْمُرُوا بِهِ مَجَالِسَكُمْ، فَإِنَّهُ مَعْقُودٌ بِبَوَاصِيكُمْ - يَعْنِي: بِمَا وَكَلَّ بِهِ مِنْكُمْ - وَيُقْسِدُ نَعِيمَكُمْ ، وَيُخْرِبُ مَصَانِعَكُمْ (٣) وَيُفْنِيكُمْ كَمَا أَفْنَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ.. فَلَا تَنْسُوهُ فَإِنَّهُ لَا يَنْسَاكُمْ ، وَلَا تَغْفُلُوا عَنْهُ فَإِنَّهُ لَيْسَ بِغَافِلٍ عَنْكُمْ .

وَأَنْشَدُوا :

يَا جَارَ أَحْبَابِهِ شُهُورًا وَجَارَ أَمْوَاتِهِ دُهُورًا
لَيْسَ سُرُورًا يَعُودُ حَزْنًا إِذَا تَأَمَّلْتَهُ سُرُورًا

(١) سورة المنافقون : ١٠ ، ١١ .

(٢) أى : الموت .

(٣) المراد : القرى والبلاد . قال الأصمعي : العرب تسمى القرى «مصانع» ، واحدتها مَصْنَعَةٌ (نقله ابن منظور فى لسان العرب) .

* وروى عن عيسى عليه السلام أنه قال :

«مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ إِلَّا وَفِي سُرَّتِهِ مِنْ تَرَابِ الْأَرْضِ الَّتِي يَمُوتُ فِيهَا» .

وأنشدوا :

أَمْرٌ عَلَى الْمَقَابِرِ كُلِّ حِينٍ وَلَا أَدْرِي بِأَيِّ الْأَرْضِ قَبْرِى
وَأَفْرَحُ بِالْغِنَى إِنْ زَادَ مَالِى وَلَا أَبْكِي عَلَى نُقْصَانِ عُمْرِى

* ولله دَرٌّ مَنْ قَالَ :

أَيُضْحَكُ مَنْ لِمُوتِ فِيهِ نَصِيبٌ وَيَنْعَمُ عَيْشًا إِنْ ذَا لِعَجِيبٌ
وَيَأْكُلُ وَالْأَيَّامُ تَأْكُلُ عُمْرَهُ وَلَيْسَ لَهُ جِسْمٌ لِذَاكَ يَذُوبُ

* وقد قرأت فى (بستان الواعظين)^(١) فى شرح قول الله تعالى :

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^(٢) :

«يَمُوتُ كُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ، يَمُوتُ كُلُّ أَمِيرٍ وَوَزِيرٍ، يَمُوتُ كُلُّ عَزِيزٍ وَحَقِيرٍ، يَمُوتُ كُلُّ غَنِيٍّ وَفَقِيرٍ، يَمُوتُ كُلُّ نَبِيٍّ وَوَلِيٍّ، يَمُوتُ كُلُّ نَجِيٍّ وَتَقِيٍّ، يَمُوتُ كُلُّ زَاهِدٍ وَعَابِدٍ، يَمُوتُ كُلُّ مُقَرَّرٍ وَجَّاحِدٍ، يَمُوتُ كُلُّ

(١) للإمام أبى الفرج عبد الرحمن بن أبى الحسن على بن محمد بن على بن الجوزى . .

طبعة دار الكتاب العربى . ص ٢٠٥ .

(٢) سورة آل عمران : ١٨٥ .

صحيح وسقيم، يموتُ كلُّ مريضٍ وسليمٍ، كلُّ نفسٍ تموتُ غيرَ ذى
العِزَّةِ والجَبْرُوتِ..» .

وأنشدوا :

ألا كلُّ مَولودٍ فَلِلْمَوتِ يُولدُ ولستُ أرى حَيًّا عَلَيها يُخَلدُ
تَجَرَّدَ مِنَ الدُّنيا فإِنَّكَ إِنَّمَا خَرَجْتَ مِنَ الدُّنيا وَأنتَ مُجَرَّدُ
وَأنتَ وَإِنْ خَوَّلْتَ مالا وَكَثْرَةَ فَإِنَّكَ فِي الدُّنيا عَلَي ذاكِ أُوْحَدُ
وأَفْضَلُ شَيْءٍ نَلْتُ مِنْها فَإِنَّهُ مَتاعٌ قَليلٌ يَضْمَحِلُّ وَيَنْفَدُ
فَكَمْ مِنْ عَزيزٍ أَعْقَبَ الدُّلَّ عِرَّهُ فأَصْبَحَ مَذْمومًا وَقَدْ كانَ يُحْمَدُ
فَلا تَحْمَدِ الدُّنيا وَلَكِنْ قَدِّمِها وما بِالُ شَيْءٍ ذَمُّهُ اللهُ يُحْمَدُ

* فليكن كل هذا نُصِبَ أَعيننا حتى نفهم المراد من مواضع الرسول
ﷺ ، ومن وصيته التي يقول فيها لرجل وهو يعظه (١) :

«اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ،
وَغِنَاكَ قَبْلَ فُقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ» .

(رواه الحاكم وقال : صحيح على شرطهما ، وقال شارح الجامع :
إسناده حسن) .

(١) كما يقول ابن عباس رضي الله عنهما .

* وعن أبي ذر رضي عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصاه فقال له :

« زُرِ الْقُبُورَ تَذَكَّرُ بِهَا الْآخِرَةَ، وَاغْسِلِ الْمَوْتَى فَإِنَّ مُعَالَجَةَ جَسَدِ خَاوٍ مَوْعِظَةٌ بَلِيغَةٌ، وَصَلِّ عَلَى الْجَنَائِزِ لَعَلَّ ذَلِكَ أَنْ يُحْزِنَكَ فَإِنَّ الْحَزِينَ فِي ظِلِّ اللَّهِ يَتَعَرَّضُ كُلَّ خَيْرٍ ».

(رواه الحاكم وقال : رواه ثقات . . والحديث صحيح)

* وعن معاذ رضي عنه قال : قلت : يا رسول الله . . أوصني ؟ قال :

« اعْبُدِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، وَاغْدُدْ نَفْسَكَ فِي الْمَوْتَى ، وَانْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ كُلِّ شَجَرٍ وَحَجَرٍ، وَإِذَا عَمَلْتَ سَيِّئَةً فاعْمَلْ بِجَنِّبِهَا حَسَنَةً، السِّرُّ بِالسِّرِّ، وَالْعَلَانِيَةُ بِالْعَلَانِيَةِ ».

(رواه الطبراني بإسناد جيد)

* وعن سعد بن أبي وقاص رضي عنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله . . أوصني ؟ فقال صلى الله عليه وسلم :

« عَلَيْكَ بِالْإِيَّاسِ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ، وَإِيَّاكَ وَالطَّمَعِ فَإِنَّهُ الْفَقْرُ الْحَاضِرُ ، وَصَلِّ صَلَاتَكَ وَأَنْتَ مُودِعٌ، وَإِيَّاكَ وَمَا يُعْتَدَّرُ مِنْهُ » .

(رواه الحاكم والبيهقي في الزهد، وقال الحاكم واللفظ له : صحيح الإسناد) .

* * فلنذكر كل هذه المواعظ والوصايا المحمدية . . ونحن نلاحظ كذلك أن الكيس العاقل الحازم هو المشار إليه في هذا الحديث الشريف الذي ورد :

* عن شداد بن أوس رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ ^(١) ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَالْعَاجِزُ مَنْ
أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا ^(٢) ثُمَّ تَمَنَّى عَلَى اللَّهِ ^(٣) . »

(رواه ابن ماجه ، والترمذى وقال : حديث حسن)

* * نَسَأَلُ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ هَؤُلَاءِ الْعُقَلَاءِ الَّذِينَ
يُدِينُونَ أَنْفُسَهُمْ ، وَالَّذِينَ يَعْمَلُونَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ . . . حَتَّى نَكُونَ - إِنْ شَاءَ
اللّٰهُ - أَهْلًا لِدُخُولِ الْجَنَّةِ ، مَعَ الْأَبْرَارِ . . . اللَّهُمَّ آمِينَ .

* * *

(١) أى : حاسبها وأتبعها على تقصيرها وإسرافها . . . وقيل : أخضعها وأذنتها .

(٢) أى : جعل نفسه تابعة لهواها يعطيها كل ما تهوى وتشتهى .

(٣) يعنى : الأمانى الباطلة التى يزينها له الشيطان بأن الله كريم غفور رحيم غنى عنه وعن عمله . . الخ .

obeikandi.com

آخر خطبة له ﷺ

فى يوم الخميس قبل وفاة النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأيام خرج من حجرته عاصباً رأسه فرقى المنبر وأمر بلالاً فنادى فى الناس أن اجتمعوا لوصية رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فاجتمعوا وغضَّ المسجد بهم ثم قام فخطبهم خطبة بليغة، قال عقبه ابن عامر:

صلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم على قتلى أحد بعد ثمان سنين كالمودع للأحياء والأموات ثم طلع المنبر، فقال:

« إني بين أيديكم فرطاً^(١) وأنا شهيد عليكم، وإن مودعكم الحوض، وإنى لأنظر إليه من مقامى هذا، وإنى لست أخشى عليكم أن تُشركوا، ولكنى أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها » .

(أخرجه البخارى)

ثم قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم:

« إن عبداً خيره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا وبين ما عنده، فاختر ما عنده » .

(١) أى: سأسبقكم، فأتقدمكم إلى الآخرة .

فبكى أبو بكر، وبكى^(١)، فقال: فديناك بأبائنا وأمهاتنا، فكان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم هو المخير، وكان أبو بكر أعلمنا به. فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم:

« إِنَّ أَمَّنَ النَّاسِ عَلَيَّ^(٢) بِمَالِهِ وَصُحْبَتِهِ: أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنْ أَخُوَّةَ الْإِسْلَامِ، لَا يَبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ خَوْفَةٌ^(٣) إِلَّا خَوْفَةُ أَبِي بَكْرٍ » .

وأوصى بالأنصار فقال:

« يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ.. اسْتَوْصُوا بِالْأَنْصَارِ خَيْرًا، فَإِنَّ النَّاسَ يَزِيدُونَ، وَإِنَّ الْأَنْصَارَ عَلَيَّ هَيِّئَتْهَا لَا تَزِيدُ، وَإِنَّهُمْ كَانُوا عَيْبَتِي^(٤)، الَّتِي أُوَيْتُ إِلَيْهَا؛ فَأَحْسِنُوا إِلَيَّ مُحْسِنِينَ، وَتَجَاوَزُوا عَنِّي مُسِيئِينَ » .
(أخرجه مسلم عن أبي سعيد الخدري)

وعن ابن عباس، عن الفضل بن عباس، قال: أتاني رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو يوعك وعكاً شديداً^(٥) وقد عصب

(١) أى: أكثر من البكاء حزناً على فراق النبي ﷺ .

(٢) أمن الناس، أى: أكثرهم ودأً وسماحةً بنفسه وماله، وليس المراد به الامتنان بالإحسان، لأنه أذى مبطل للثواب .

(٣) باب صغير بين البيتين .

(٤) أى: خاصتى الذين أثق بهم .

(٥) الوعك - يفتح فسكون - : ألم الحمى .

رأسه . فقال : « خذْ بِيَدِي يَا فَضْلُ » . فأخذت بيده حتى قعد على المنبر ، ثم قال : « نَادِ فِي النَّاسِ يَا فَضْلُ » . فناديت : الصلاة جامعة ، فاجتمعوا . فقام رسول الله ﷺ خطيباً ، فقال :

« أما بعدُ، أَيُّهَا النَّاسُ.. إِنَّهُ قَدْ دَنَا مِنِّي خُلُوفٌ^(١) مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِكُمْ، وَلَنْ تَرُونِي فِي هَذَا الْمَقَامِ فِيكُمْ، وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَنْ هَذَا غَيْرُ مُغْنٍ عَلَيَّ حَتَّى أَقُومَ فِيكُمْ مِرَاراً، أَلَا فَمَنْ كُنْتُ جَلَدْتُ لَهُ ظَهراً فَهَذَا ظَهْرِي فَلَيْسَتْ قَدْ^(٢) مِنْهُ، وَمَنْ كُنْتُ شَتَمْتُ لَهُ عِرْضاً فَهَذَا عِرْضِي فَلَيْسَتْ قَدْ مِنْهُ، وَمَنْ كُنْتُ أَخَذْتُ مِنْهُ مَالاً فَهَذَا مَالِي فَلْيَأْخُذْ مِنْهُ، وَلَا يَقُولَنَّ قَائِلٌ: أَخَافُ الشُّحْنَاءَ مِنْ قَبْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ. أَلَا إِنَّ الشُّحْنَاءَ لَيْسَتْ مِنْ شَأْنِي وَلَا مِنْ خُلُقِي. وَإِنْ أَحْبَبْتُمْ إِلَيَّ مَنْ أَخَذَ مِنِّي حَقًّا إِنْ كَانَ لَهُ عَلَيَّ، أَوْ حَلَلَنِي فَلَقِيْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَلَيْسَ لِأَحَدٍ عِنْدِي مَظْلَمَةٌ » . فقام رجل . فقال : يا رسول الله . . . لى عندك ثلاثة دراهم . قال : «أما أنا فلا أكذبُ قائلًا ولا مُسْتَحْلِفُهُ عَلَى يَمِينٍ، فِيمَ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي »؟ . فقال : أما تذكر أنه مرَّ بك سائل فأمرتني فأعطيته ثلاثة دراهم . قال : « أَعْطِهِ يَا فَضْلُ » . ثم قال

(١) خلوف - بضمين - أى : قرب تخلفى عنكم فلا أحضركم لموتى .

(٢) من القود ، أى : فليقتصر منه .

رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس.. مَنْ عِنْدَهُ مِنَ الْعُلُولِ (١) شَيْءٌ فَلْيُرِدْهُ». فقام رجل فقال: يا رسول الله.. عندي ثلاثة دراهم غللتها في سبيل الله قال: «فَلِمَ غَلَلْتَهَا»؟ قال: كنت إليها محتاجاً. قال: «خُذْهَا مِنْهُ يَا فَضْلُ». ثم قال: «يا أيها الناس.. مَنْ أَحْسَسَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئاً فَلْيَقُمْ أَدْعُوا اللَّهَ لَهُ». فقام رجل، قال: يا رسول الله.. إني لمنافق، وإني لكذوب، وإني لشئوم. فقال عمر بن الخطاب: وَيَحْكُ أَيُّهَا الرَّجُلُ لَقَدْ سَتَرَكَ اللَّهُ، لو سترت على نفسك؟. فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «مَهْ يَا بِنَ الْخَطَّابِ.. فَضُوحُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ فَضُوحِ الْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ صِدْقاً وَإِيمَاناً، وَأَذْهِبْ عَنْهُ الشُّؤْمَ».

(أخرجه البيهقي وفي سنده و متنه غرابة شديدة. قاله ابن كثير في البداية).

* * * وتعليقي على الخطبة الأخيرة لن يكون على ما جاء فيها من التوجيهات والإشارات، وإنما سيكون على بعض ما حدث يوم وفاة الرسول ﷺ: فقد توفي النبي ﷺ يوم الاثنين الثالث عشر من ربيع الأول سنة إحدى عشرة هجرية (٢) (٨ يونيو سنة ٦٣٢ ميلادية) وعمره ثلاث وستون سنة.

(١) مصدر غل، من باب قعد، أي: خان في الغنيمة أو غيرها.

(٢) قال السهيلي: اتفقوا أن النبي ﷺ توفي يوم الاثنين وأنه توفي في ربيع الأول، غير أن أكثرهم قال: في الثاني عشر منه.

ولما قبض النبي ﷺ (١) دهش أصحابه دهشة عظيمة وطاشت عقولهم واختلط أمرهم . ومن اختلط عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فجعل يصيح ويقول : إن رسول الله ﷺ لم يمت وتهدد من قاله ، وأقعد على ﷺ فلم يستطع حراكاً ، وأخرس عثمان رضي الله عنه ، وأضنى (٢) عبد الله ابن أنيس حتى مات كمداً (٣) ، واضطرب الأمر ، وجل الخطب ، وفدحهم هول المصيبة وحق لهم ذلك . وكان أثبتهم العباس وأبو بكر عليهما رضوان الله ، فقد بلغ الخبر أبا بكر وهو بالسُّنح (٤) فجاء وعيناه تَهْمَلان (٥) وزفراته تتردد في صدره وغصصه ترتفع ، وهو في ذلك ﷺ ثابت القلب حسن القول ، ودخل على رسول الله ﷺ وكشف وجهه وقبل جبينه وجعل يبكي ويقول : بأبي أنت وأمي . . طبت حياً وميتاً وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء ، ولو أن موتك كان اختياراً لَجُدْنَا لموتك بالنفوس ، ولو لا أنك نهيت عن البكاء لأنفدنا عليك ماء العيون ، فأما ما لا نستطيع نفيه فكمد وإذناف (٦) يتحالفان ولا يبرحان ، اذكرنا يا محمد عند ربك ، ولنكن لك على بال ، اللهم أبلغ نبيك عنا .

(١) كما جاء في «الدين الخالص» ج ٧ ص ١٧٠ .

(٢) أي : أصابه الضنا وهو مرض يتولد من وجع القلب .

(٣) الكمد - بفتح الحاء - : الحزن المكتوم .

(٤) السنح - بضم السين - : أو بضم السين والنون - : موضع قرب المدينة كان به مسكن الصديق .

(٥) هملت عينه ، أي : فاضت بالدموع .

(٦) أدنفته المرض ، أي : أثقله .

ثم خرج وخطب الناس خطبة قال فيها :

«أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخاتم أنبيائه، وأشهد أن الكتاب كما نزل، وأن الدين كما شرع، وأن الحديث كما حدث، وأن القول كما قال، وأن الله هو الحق المبين .

ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ .. مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَمْ يَمُتْ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ تَقَدَّمَ لَكُمْ فِي أَمْرِهِ فَلَا تَدْعُوهُ جَزَعًا، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ اخْتَارَ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَا عِنْدَهُ عَلَى مَا عِنْدَكُمْ، وَقَبِضَهُ إِلَى ثَوَابِهِ، وَخَلَّفَ فِيكُمْ كِتَابَهُ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ فَمَنْ أَخَذَ بِهِمَا عَرَفَ، وَمَنْ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا أَنْكَرَ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ (١) وَلَا يَشْغَلَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ بِمَوْتِ نَبِيِّكُمْ وَلَا يَلْفِتْكُمْ عَنْ دِينِكُمْ، وَعَاجِلُوا الشَّيْطَانَ بِالْخِزْيِ تُعْجِزُوهُ، وَلَا تَسْتَنْظِرُوهُ فَيَلْحَقَ بِكُمْ» .

فلما فرغ من خطبته قال : يا عمر . . أنت الذي بلغني أنك تقول على باب نبي الله ﷺ : والذي نفس عمر بيده ما مات نبي الله ؟ . أما علمت أن رسول الله ﷺ قال يوم كذا- كذا وكذا . وقال الله تعالى : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مُيْتُونَ﴾ (٢) ، فقال عمر : والله لكأني لم أسمع

(١) سورة النساء: ١٣٥ .

(٢) سورة الزمر : ٣٠ .

بها في كتاب الله قبل الآن لما نزل بنا، أشهد أن الكتاب كما نزل، وأن الحديث كما حدث، وأن الله تعالى حي لا يموت، إنا لله وإنا إليه راجعون، صلوات الله على رسوله، وعند الله نحتسب رسوله، وقال:

لَعَمْرِي لَقَدْ أَيْقَنْتُ أَنَّكَ مَيِّتٌ وَلَكِنَّمَا أَيْدِي الَّذِي قَلَّبَهُ الْجَزَعُ
وَقَلْتُ: يَغِيبُ الْوَحْيُ عَنَّا لِقَدِّهِ كَمَا غَابَ مُوسَى ثُمَّ يَرْجِعُ كَمَا رَجَعَ
وَكَانَ هَوَايَ أَنْ تَطُولَ حَيَاتُهُ وَلَيْسَ لِحَيِّ فِي بَقَا مَيِّتٍ طَمَعُ

* قال في «الدين الخالص»: وقد ورد في هذا أحاديث منها:
حديث ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر عند امرأته ابنة خارجه بالعوالي، فجعلوا يقولون: لم يمت النبي صلى الله عليه وسلم، إنما هو بعض ما كان يأخذه عند الوحي. فجاء أبو بكر فكشف عن وجهه وقبّل بين عينيه وقال: أنت أكرم على الله أن يميتك مرتين. قد والله مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعمر في ناحية المسجد يقول: والله ما مات رسول الله ولا يموت حتى يقطع أيدي أناس من المنافقين كثير وأرجلهم.

فقام أبو بكر فصعد المنبر فقال: «مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَمْ يَمُتْ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَلَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ
عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَن يَمَسُّهُ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ
الشَّاكِرِينَ﴾ (١) .

قال عمر : «فَلَكَأَنِّي لَمْ أَقْرَأَهَا إِلَّا يَوْمَئِذٍ» .

(أخرجه ابن ماجه)

ثم بعد ذلك - وباختصار - بويع الصديق رضي بالخلافة .

(١) سورة آل عمران : ١٤٤ .

ما حدث يوم وفاة الرسول ﷺ

وما بعده

والآن - أخوا الإسلام - وبعد أن وقفتُ معك على هذه النماذج المضيئة من خطب الرسول ﷺ .. إلى أن توفاه الله سبحانه وتعالى بعد أن بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، وهدى الأمة، وكشف الغمة .. وبعد أن تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ولا يزيغ عنها إلا هالك .. (أريد) أن أضيفَ إلى ما وقفتُ معك عليه حول حزن الصحابة - عليهم جميعاً رضوان الله - على فراق رسول الله ﷺ لهم بجسده، وارتقائه بروحه إلى الرفيق الأعلى بجوار ربه سبحانه وتعالى (أنه) عندما تُوفِّي رسول الله ﷺ .. اجتمع الناس في المسجد وضجوا بالبكاء والنحيب وأظلمت الدنيا في عيونهم ونادى بلال: وانبيا .. ونادت فاطمة: وأبتاه .. ونادى الحسن والحسين: واجداه .. ونادى كل من المسلمين: واحزنانه .. (لأن) موت الرسول ﷺ يُعدُّ أكبر مصيبة - كما يشير أحدهم إلى هذا في قوله:

اصْبِرْ لِكُلِّ مَصِيبَةٍ وَتَجَلِّدِ واعلمْ بأن المرءَ غيرُ مُخَدِّدِ
واصْبِرْ كما صبرَ الكرامُ فإنَّها نُوبٌ تنوبُ اليومَ تُكشِفُ في غَدِ
وَإِذَا أَنْتَكَ مُصِيبَةٌ يُرْتَى لَهَا فاذكُرْ مُصَابِكَ بالنبِيِّ مُحَمَّدِ

* * *

وكان أول من بكاه ورثاه هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه . . فلقد ورد أنه قال :

كَيْفَ تَلْتَدُ جُفُونِي بِالْمَنَامِ بَعْدَ شُرْبِ الْمُصْطَفَى كَأْسِ الْحَمَامِ^(١)
إِنْ يَكُنْ غَابَ عَنِ الدُّنْيَا فَفِي جَنَّةِ الخُلْدِ لَهُ أَعْلَى مَقَامِ
إِنَّمَا المَقْدُورُ حَتَّمْ لَازِمٌ مَا لَنَا مِنْ بَاسِهِ مِنْ اعْتِصَامِ
لَيْسَ فِي الدُّنْيَا بَقَاءٌ لَامْرِي بَعْدَ مَوْتِ الْمُصْطَفَى خَيْرِ الأَنَامِ

* * *

ولما دُفِنَ - صلوات الله وسلامه عليه - قالت ابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنها ترثيه (٢) :

اغْبَرَّ آفَاقُ السَّمَاءِ وَكُوِّرَتْ شَمْسُ النَّهَارِ وَأَظْلَمَ العَصْرَانِ
فَالأَرْضُ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ كَثِيبَةٌ أَسْفَأَ عَلَيْهِ كَثِيرَةُ الرَّجْفَانِ
فَلْيَبِكْهُ شَرْقُ البِلَادِ وَعَرْبُهَا وَلْتَبِكْهُ مُضَرٌّ وَكُلُّ يَمَانِ
وَلْيَبِكْهُ الطُّودُ (٣) المُعْظَمُ جَوْهُ وَالبَيْتُ ذُو الأَسْتَارِ والأَرْكَانِ
يَا حَاتَمَ الرُّسُلِ المُبَارِكِ ضَوْؤُهُ صَلَّى عَلَيْكَ مُنْزَلُ الفُرْقَانِ

* * *

(١) الحمام - بكسر الحاء - أى : الموت .

(٢) أمام أهل بيتها . . وبينها وبين نفسها على سبيل التذكير بعظم المصيبة فى فقدته صلوات الله وسلامه عليه . . دون صراخ أو عويل لأنها الزهراء رضي الله عنها .

(٣) أى : الجبل العظيم (مختار الصحاح) .

ورثاه على - كرم الله وجهه - وبكى بالدمع وهو يقول :

لَوْ جَرَى الدَّمْعُ عَلَى قَدْرِ المُصَابِ شَابَهَتْ أَجْفَانُنَا سَحًّا (١) السَّحَابِ
مَاتَ خَيْرُ الخَلْقِ مَنْ قَدْ خَصَّهُ رَبُّهُ بِالصَّحْبِ مِنْ خَيْرِ صِحَابِ
أَيُّهَا النَّاسُ لَكُمْ بِالمُصْطَفَى أُسْوَةٌ فَالْمَوْتُ يُدْنِي لِلذَّهَابِ
تَقُوا بِاللَّهِ وَارْضَوْا وَخُذُوا مَا قَضَى اللَّهُ بِصَبْرٍ وَاحْتِسَابِ

* * *

ورثاه عثمان بن عفان رضي الله عنه وزاد في البكاء وهو يقول :

وَيْحَكَ يَا نَفْسُ البَدَارَ البَدَارُ (٢) مَا هَذِهِ الدُّنْيَا لِحَى بَدَارِ
كَمْ كَدَرْتُ صَفْوًا وَكَمْ أَلْبَسْتُ مَنْ تَاهَ عِرًا (٣) ثَوْبَ ذُلٍّ وَعَارِ
أَيُّظْمِنُ المَرءُ فِي مَنْزِلِ يَرَى كَوْوَسَ المَوْتِ فِيهِ تُدَارِ
مَا بَعْدَ مَوْتِ المُصْطَفَى خَالِدٌ وَليْسَ فِي الدُّنْيَا لِحَى قَرَارِ (٤)

* * *

(١) قال في مختار الصحاح : سَحَّ الماءُ : صبَّه ، وسَحَّ الماءُ بنفسه : سال من فوق ، وكذا المطر ، والدمع ، وبابهما رد .

(٢) قال في مختار الصحاح : بدر بالشئ أسرع (وبادر) إليه أيضاً . . (وتبادر القوم) تسارعوا . . (والمراد) المسارعة إلى الله بالأعمال الصالحة قبل انتهاء الأجل . . الذي لا بد له من نهاية .

(٣) أي : تفاخر بسبب غناه .

(٤) وإلى هذا يشير أحدهم في قوله :

لكان رسول الله فيها مخلدًا

ولو كانت الدنيا تدوم لواحد

وقال أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رضي الله عنه يرثيه وهو يبكي :

لَقَدْ عَظَمْتَ مُصِيبَتَنَا وَجَلَّتْ
عَشِيَّةَ قَيْلٍ قَدْ قُبِضَ الرَّسُولُ
فَقَدْنَا الْوَحْيَ وَالنَّزِيلَ فِينَا
يَرُوحُ بِهِ وَيَغْدُو جِبْرَائِيلُ (١)
نَبِيٌّ كَانَ يَجْلُو الشَّكَّ عَنَّا
بِمَا يُوحَى إِلَيْهِ وَمَا يَقُولُ
أَقَاطِمُ إِنْ جَزَعْتَ فَذَاكَ عُدْرٌ
وَإِنْ لَمْ تَجْزَعِي ذَاكَ السَّبِيلُ
فَقَبْرُ أَبِيكَ سَيِّدُ كُلِّ قَبْرِ
وَفِيهِ سَيِّدُ النَّاسِ الرَّسُولُ

* * *

وقالت عمته صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها ترثي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أَلَا يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنْتَ رَجَاءَنَا
وَكُنْتَ بِنَا بَرًّا وَلَمْ تَكُ جَافِيَا
وَكُنْتَ رَحِيمًا هَادِيًا وَمُعَلِّمًا
لِعَمْرُكَ (٢) مَا أَبْكِي النَّبِيَّ لِفَقْدِهِ
لِيَبْكَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ مَنْ كَانَ بَاكِيًا
كَأَنَّ عَلَيَّ قَلْبِي لِذِكْرِ مُحَمَّدٍ
وَلَكِنْ لَمَّا أَحْشَى مِنَ الْهَرَجِ آتِيَا
وَمَا خِفْتُ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ الْمَكَوِيَا

(١) إنه يعني أننا فقدنا استمرار الوحي الذي كان ينزل به سيدنا جبريل عليه السلام على قلب الحبيب المصطفى صلوات الله عليه وسلامه . (وهذا) الوحي هو النور الذي سنظل إن شاء الله تعالى نسير على هداة إلى يوم الدين .
(٢) قال في مختار الصحاح : (لعمرك) الله ، فاللام لتوكيد الابتداء والخبر محذوف ، تقديره : (لعمرك الله قسماً) أو (لعمرك الله ما أقسم به) .

أَفْطَمُ صَلَّى اللَّهُ رَبُّ مُحَمَّدٍ عَلَى جَدَّتِ (١) أَمْسَى بِبَثْرَبَ ثَاوِيَا
 فِدَى لِرَسُولِ اللَّهِ أُمِّي وَخَالَتِي وَعَمِّي وَآبَائِي وَنَفْسِي وَمَالِيَا
 صَدَقْتَ وَبَلَغْتَ الرِّسَالَةَ صَادِقًا وَمَتَّ صَلِيبَ الْعُودِ أْبْلَجَ صَافِيَا
 قُلُوْ أَنْ رَبَّ النَّاسِ أَبْقَى نَبِيْنَا سَعَدْنَا وَلَكِنْ أَمْرُهُ كَانَ مَاضِيَا
 عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ السَّلَامُ تَحِيَّةٌ وَأُدْخَلْتَ جَنَّاتٍ مِنَ الْعَدْنِ رَاضِيَا
 أَرَى حَسَنًا أَيْمَنْتَهُ وَتَرَكَتَهُ يَبِّ حِي وَيَدْعُوْ جَدَّهُ الْيَوْمَ نَاعِيَا

وأما عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلقد ظل يبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن قال :

لَيْسَ الْبِكَاءُ وَإِنْ أَطِيلُ بِمُقْنَعِي الخَطْبُ أَعْظَمُ قِيَمَةً مِنْ أَدْمَعِي
 تَاللَّهِ (٢) مَا جَارَ الزَّمَانُ وَلَا اعْتَدَى بِأَشَدَّ مِنْ هَذَا الْمَصَابِ وَأَوْجَعِ
 فُقِدَ الرَّسُولُ فَأَظْلَمَتْ كُلُّ الدُّنَا وَالْحُزْنَ عَمَّ بِكُلِّ قَلْبٍ مُوجَعِ
 مَا زَالَ بِالْمَعْرُوفِ فِينَا أَمْرًا يَهْدِي الْأَنَامَ بِنُورِهِ الْمُتَشَعِّعِ

(١) قال في مختار الصحاح : (الجدت) بفتحين : القبر ، وجمعه (أجدت)
 و (أجدات) .

(٢) وهذا قسم ، مع ملاحظة أن حروف القسم هي : الواو ، والباء ، والتاء .

* * كما ورد أنه ﷺ سُمع بعد موت الرسول ﷺ يبكي ويقول :
«بأبى أنتَ وأُمى يا رسولَ اللهِ: لقدَ كانَ جدُّعُ تخطُبُ الناسَ عليه،
فلما كثرَ الناسُ اتخذتَ منبراً لتُسمِعَهم، فما حنَّ الجدُّعُ لفراقِكَ حتى
جعلتَ يدك عليه فسكَنَ.. فأمتُّكَ كانتَ بالحنينِ إليكَ لما فارقتهم
أولى».

بأبى أنتَ وأُمى يا رسولَ اللهِ : لقدُ بلغَ منَ فضيلتِكَ عندَ اللهِ
تعالى أنَ جعلَ طاعتكَ طاعته، فقال عزَّ وجلَّ:
﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (١) .

بأبى أنتَ وأُمى يا رسولَ اللهِ : لقدُ بلغَ منَ فضيلتِكَ عندَ اللهِ
تعالى أنَ أخبركَ بالعفوِ عنكَ قبلَ أنَ يخبركَ بالذنبِ، فقال تعالى:
﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾ (٢) .

(١) سورة النساء : ٨٠ .

(٢) سورة التوبة : ٤٣ . وكان النبي ﷺ قد أذن لبعض المنافقين بالتخلف عن الخروج معه للجهاد في سبيله . . بعد أن أقسموا بأنهم لو استطاعوا الخروج معه لخرجوا . . وكان ينبغي عليه أن لا يأذن لهم حتى يتبين الذين صدقوا في الاعتذار ، ويعلم الكاذبين فيه ، كما تشير بقية الآية . . وهذا الوارد في النص عتاب من الله لرسوله صلوات الله وسلامه عليه . والمعنى : لأى شىء أذنت لهم في القعود حين استأذونك . . إلخ (تفسير البيضاوى ، باختصار) .

بأبى أنت وأمى يا رسول الله : لقد بلغ من فضيلتك عند الله
تعالى أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك فى أولهم، فقال عز وجل:
﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ﴾ (١).

بأبى أنت وأمى يا رسول الله : لقد بلغ من فضيلتك عند الله
تعالى أن أهل النار يودون أن يكونوا قد أطاعوك وهم بين أطباقها
يُعذبون:

﴿يَقُولُونَ يَا لَيْتَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ (٢).

بأبى أنت وأمى يا رسول الله : لئن كان موسى بن عمران أعطاه
الله حَجْرًا تتفجّر منه الأنهار، فماذا بأعجب من أصابعك حين نبع
منها الماء، صلى الله عليك .

بأبى أنت وأمى يا رسول الله : لئن كان سليمان بن داود أعطاه
الله الريح غدوها شهرٌ ورواحها شهرٌ، فماذا بأعجب من البراق حين

(١) سورة الأحزاب : ٧ . فالمخاطب أولاً هو الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه
عليه قبل سيدنا نوح أبى البشر الثانى، وقبل سيدنا إبراهيم أبى الأنبياء، عليهما وعلى
جميع الأنبياء السلام .

(٢) سورة الأحزاب : ٦٦ .

سَرَيْتَ عَلَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ^(١) ثُمَّ صَلَّيْتَ الصُّبْحَ مِنْ لَيْلَتِكَ
بِالْأَبْطَحِ^(٢) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ .

بَأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ: لَنْ كَانَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ أُعْطَاهُ
اللَّهُ إِحْيَاءَ الْمَوْتَى^(٣)، فَمَاذَا بَاعَجَبَ مِنَ الشَّاةِ الْمَسْمُومَةِ حِينَ كَلَّمْتِكَ
وَهِيَ مَشْوِيَّةٌ، فَقَالَتْ لَكَ الدَّرَاعُ: لَا تَأْكُلْنِي فَإِنِّي مَسْمُومَةٌ.

بَأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ: لَقَدْ دَعَا نُوْحٌ عَلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: ﴿رَبِّ
لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾^(٤) وَلَوْ دَعَوْتَ عَلَيْنَا بِمِثْلِهَا لَهَلَكْنَا:
فَقَدْ وَطِئَ ظَهْرُكَ، وَأُدْمِيَ وَجْهُكَ، وَكُسِرَتْ رِبَاعِيَّتُكَ^(٥)، فَأَبَيْتَ أَنْ تَقُولَ
إِلَّا خَيْرًا، فَقُلْتَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»^(٦).

(١) في ليلة الإسراء والمعراج، ليلة السابع والعشرين من شهر رجب.

(٢) الأبطح: مسيل واسع فيه دُقاق الحصى. والجمع (الأباطح)، ومنه بطحاء مكة
(مختار الصحاح).

(٣) أى: بإذن الله.

(٤) سورة نوح: ٢٦.

(٥) (الرباعية): بوزن الثمانية: السنُّ التي بين الثنية والناب. والجمع: رباعيات . .
(مختار الصحاح).

(٦) وقد قال النبي ﷺ هذا للملك الذي كان الله تعالى قد أرسله إليه بعد أن آذاه أهل
الطائف ليطبق عليهم الأخشبين - أى: الجبلين - فقال هذا ضمن ما قاله . فقال له
الملك: صدق من سَمَّكَ الرءوف الرحيم .

بأبى أنت وأُمى يا رسولَ الله: لقد اتَّبَعَكَ فى قَلَّةِ سِنِّكَ وَقِصْرِ عُمُرِكَ ما لَمْ يَتَّبِعِ نوحاً فى كَثْرَةِ سِنِّهِ وطولِ عُمُرِهِ، ولقد آمنَ بكَ الكثيرُ، وما آمنَ مَعَهُ إلا القليلُ^(١).

بأبى أنت وأُمى يا رسولَ الله: لو لم تُجَالِسْ إلا كفوًّا لك ما جالستُنَّا، ولو لم تُنكحْ إلا كفوًّا لك ما نكحتَ إلينا^(٢)، ولو لم تُواكل^(٣) إلا كفوًّا لك ما واكَلتُنَّا^(٤): فلقد والله جالستُنَّا، وواكَلتُنَّا، ونكحتَ إلينا، ولَبِستَ الصُّوفَ، وركبتَ الحِمَارَ، وأردفتَ خلفك^(٥) ووضعتَ طعامك على الأرضِ، ولعقتَ أصابعك تواضعاً منك، صلَّى اللهُ عليك... اهـ .

والآن - أخا الإسلام - أريد أن أقف معك فى ختام هذا التعليق المهم (وقفتين) إيجابيتين لابد منهما حتى ننتفع بهذا التعليق الذى لابد أن يكون له أثره الروحانى فى قلوبنا التى ينبغى أن تكون مُحَبَّةً لرسول الله ﷺ الذى كان ولا يزال هو الأساس فى فلاحنا ونجاحنا . . والذى لولاه لظل العالم أجمع إلى يومنا هذا . . بل إلى لحظتنا هذه يتخبط فى ظلمات الجهل وينقاد إلى الخرافات والأوهام . .

(١) قيل: كانوا ستة، وقيل: كانوا أربعين رجلاً وامرأة .

(٢) أى: ما تزوجت منا . . أى: من بناتنا وأخواتنا .

(٣) أى: لو لم تأكل إلا مع كفوِّك . . .

(٤) أى: ما أكلت معنا .

(٥) أى: أركبت خلفك على الدابة .

ولهذا فقد قال الله تعالى مُمْتَنَّا عَلَيْنَا بِهِ وَبِعِثْتَهُ :

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (١) إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ (٢) وَالْحِكْمَةَ (٣) وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٤).

* أما الوقفة الأولى: فحول (البيت) الذي تقول فيه عمته صفية عليها السلام:

لَعَمْرُكَ مَا أَبْكَى النَّبِيَّ لِفَقْدِهِ وَلَكِنْ لِمَا أَخْشَى مِنَ الْهَرَجِ (٥) آتِيَا

إنها في هذا البيت الشعري تُقسم بأنها لا تبكى النبي لفقده . . ولكن لما تخشى من الهرج آتياً . (وهذا) معناه أنها تشير إلى ملاحظة مهمة . . لا بد وأن نكون - كمؤمنين - قد وقفنا على المراد منها، وهي أنه صلوات الله وسلامه عليه لم يفارق الدنيا إلا بجسده فقط، ولكن هديه . . وكل ما أوتيته من قرآن وسنة . . سيظل موجوداً في عالمنا الإيماني الذي يتمثل في جميع شؤون حياتنا . . (ولهذا) فنحن كذلك لا نبكى فراقه عليه السلام - لأنه يعيش في قلوبنا - وإنما نبكى فعلاً لما حدث

(١) الذين نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم .

(٢) أي: القرآن .

(٣) أي: السنة .

(٤) سورة آل عمران : ١٦٤ .

(٥) الهرج: الفتنة والاختلاط، وبابه ضرب، وفسره النبي عليه السلام - في أشراط الساعة - بالقتل .

بعده صلوات الله وسلامه عليه ، من فتن كقطع الليل المظلم بسبب بُعد الناس عن تعاليمه وعدم التزامهم بما خلفه الرسول ﷺ من الأوامر والنواهي التي أمرنا الله تعالى في قرآنه بتنفيذها فقال :

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (١) .

فكانت النتيجة الحتمية لهذا - الذي حدث بعده - هي الضياع الحقيقي الذي أصبح الآن واضحاً تمام الوضوح في أحوال المسلمين الذين أصبحوا الآن كغُثاء السيل (٢) بسبب حبهم للدنيا وكرهيتهم للموت - كما جاء في حديث شريف أخبر فيه الرسول ﷺ بهذا - فتخطفتهم الأمم الأخرى وقسمتهم بين أنفسهم - دولاً ممزقة . . (ولن) تقوم لهم قائمة إلا إذا عادوا إلى كتاب الله وسنة رسوله فجعلوهما نبزاً مضيئاً لهم في جميع ميادين الحياة التي لا بد وأن يكونوا سادة فيها . . كما كان الحال في عهد رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين الذين دانت لهم الأمم وخضعت لسلطانهم الرقاب ، وكان فضل الله عليهم عظيماً . .

*** (وعلى هذا) . . فإننا لا بد وأن نُقرَّ ونعترف بتقصيرنا ونعود إلى ربنا عودة حقيقية على أساس من الإيمان القوى . . والعقيدة الطاهرة

(١) سورة الحشر : ٧ .

(٢) قال في «مختار الصحاح» : (الغُثاء) - بالضم والمد - : ما يحمله السيل من القماش . . اهـ . وإن شئت فقل : كالرغوى التي تكون على سطح الماء .

التي لا يشوبها شَطَطٌ^(١) بتلك الصورة التي شوّهت تاريخ الإسلام
والمسلمين .

(وحسبى) أن أذكر الأخ القارئ بهذه الصورة الإيمانية التي جاء في
مضمونها أنه بعد وفاة الرسول ﷺ ، وبعد أن أصبح الصديق خليفة
لرسول الله ﷺ طلب من سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يتعاون معه
في أن يكون قاضياً بين المسلمين - بالإضافة إلى المهام الأخرى^(٢) - ولو
لمدة يوم أو يومين في الأسبوع . . حتى يتفرغ هو - أى : الصديق - لمهام
الخلافة الكبرى . .

(فيمثل عمر) لأمر الخليفة ثم يجلس في مجلس القضاء لمدة عام
كامل . . لم يحدث فيه أن ذهب إليه أحد المسلمين ليقول له : إن فلاناً
ظلمنى ، أو ضربنى ، أو أخذ مالى ، أو اعتدى على عرضى . . إلخ .
فذهب عمر إلى الصديق رضي الله عنه وقال له أمام جلسائه : **أَعْفِنِي مِنْ مَهْمَةِ
القَضَاءِ ..**

(فقال) له الصديق : **أَمِنْ مَشَقَّةِ القَضَاءِ جِئْتَ تَطْلُبُ الإِعْفَاءَ
يَا عُمَرُ ؟ !**

(فيقول له عمر) : **لا يا خليفة رسول الله .. (ولكن) لا حاجة لي
عند قومٍ مؤمنينَ - ثم قال واصفاً لهم^(٣) :**

(١) قال في «مختار الصحاح» : (الشطط) بفتح حين : مجاوزة القدر في كل شيء . .

(والمراد) هنا : مجاوزة حدود الشرع بسبب الجهل .

(٢) التي يؤديها مع صاحبه الصديق متعاوناً معه في شئون الخلافة .

(٣) بدون مداينة . . لأنه لم يكن من طبعه هذا . . كما هو معروف عنه .

«عَرَفَ كُلُّ مَنْهُمْ مَا لَهُ مِنْ حَقٍّ فَلَمْ يَطْلُبْ أَكْثَرَ مِنْهُ، وَمَا عَلَيْهِ مِنْ وَاجِبٍ فَلَمْ يَقْصُرْ فِي آدَائِهِ، أَحَبَّ كُلُّ مَنْهُمْ لِأَخِيهِ مَا يَحِبُّ لِنَفْسِهِ، إِذَا غَابَ أَحَدُهُمْ تَفَقَّدُوهُ، وَإِذَا مَرَضَ عَادُوهُ^(١)، وَإِذَا افْتَقَرَ أَعَانُوهُ، وَإِذَا احتَاجَ سَاعَدُوهُ، وَإِذَا أُصِيبَ وَاسَوْهُ^(٢).. دِينُهُمُ النَّصِيحَةُ، وَخُلُقُهُمُ الأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ. ففِيمَ يَخْتَصِمُونَ يَا خَلِيفَةُ رَسولِ اللّهِ ؟^(٣)».

(فأين) نحن الآن من تلك الأخلاق القيِّمة التي لن تسود الأمة الإسلامية - كما كانت - إلا بها .. (ومن أجل هذا) : كان لا بد وأن يكون هناك تذكير ينفع المؤمنين - فضلاً عن غيرهم من اللاهين الغافلين - حتى يُثوبوا إلى رشدهم ويعودوا إلى ربهم الذي يقول لداود عليه السلام :

« يَا دَاوُدُ: لَوْ يَعْلَمُ المُدْبِرُونَ عَنِّي^(٤) كَيْفَ انتَظَرِي لَهُمْ، وَرَفِئِي بِهِمْ ، وَشَوْقِي إِلَيَّ تَرَكِ مَعَاصِيَهُمْ .. لَمَاتُوا شَوْقاً إِلَيَّ، وَتَقَطَّعَتْ أَوْصَالُهُمْ^(٥) مِنْ مَحَبَّتِي. يَا دَاوُدُ: إِذَا كَانَتْ هَذِهِ إِرَادَتِي مَعَ المُدْبِرِينَ عَنِّي ، فَكَيْفَ إِرَادَتِي فِي المُقْبِلِينَ عَلَيَّ ؟ » .

(١) عادوه ، أى : زاروه .

(٢) أى : بالمال وما هو فى حاجة إليه من العون .

(٣) أى : فى أى شىء سيختصمون بعد ذلك .

(٤) أى : المبتعدون عنى .

(٥) أى : المفاصل الجسدية .

(ثم) إن النبي ﷺ قد ترك لنا زاداً كبيراً من السنّة الصحيحة التي بها - فضلاً عن القرآن الكريم - نستطيع أن نوقظ أنفسنا بأنفسنا . . كما نستطيع أن نُصَحِّحَ مسيرتنا إلى الله تبارك وتعالى الذي يقول :

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١) .

ويقول سبحانه وتعالى :

﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٢) .

فعلى الأخ المسلم أن يلاحظ كل هذا حتى يكون على صلة بالله ورسوله عن طريق القرآن والسنة : حتى لا يَضِلَّ أو يَزِلَّ ، وحتى يكون مُسْلِمًا لا مُتَمَسِّمًا (٣) . .

* * وأما عن الوقفة الثانية: التي أريد كذلك أن أركّز عليها : فهي من خلال ما جاء في كل ما وقفنا عليه من رثاء حزنناً على فراق الرسول ﷺ . . ولا سيّما على ما قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الكلام النوراني الذي سُمِعَ بعد موت الرسول ﷺ يرده . .

(إن) كل هذا الذي وقفنا عليه ، فضلاً عن غيره من النصوص التي من الممكن أن نقف عليها في كثير من المراجع التاريخية (يشير) وبكل

(١) سورة العنكبوت : ٦٩ . (والسُّبُل) أي : الطرق المستقيمة التي ستكون سبباً في فلاحهم ونجاحهم ودخولهم الجنة إن شاء الله تعالى .

(٢) سورة آل عمران : ١٠١ .

(٣) أعنى : حتى لا يكون مسلماً بشهادة ميلاد فقط . كما هو الحال بالنسبة لأكثرهم في هذا الزمان المأسوف عليه . . والعياذ بالله .

وضوح وتأکید إلى أن الصحابة - عليهم جميعاً رضوان الله - كانوا يحبون رسول الله ﷺ بصورة منقطعة النظير حتى إن أحدهم وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه - كما قرأت - ذهب ذات يوم لزيارة الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه الذي كان مريضاً . فلما رآه الصديق مرض هو الآخر من شدة حزنه عليه .

(ثم) بعد ذلك وبعد أن عادت الصحة إلى رسول الله ﷺ ذهب لزيارة الصديق . . فلما رآه الصديق وقد عادت الصحة إليه . . شفى هو الآخر . . اسمعه يقول مشيراً إلى هذا الحب الصادق المنقطع النظير :

مَرِضَ الْحَبِيبُ فَعُدَّتْهُ (١) فَمَرِضْتُ مِنْ أَسْفَى عَلَيْهِ (٢)
شَفَى الْحَبِيبُ فَرَارَنِي فَشَفَيْتُ مِنْ نَظْرِي إِلَيْهِ

* * *

(وهكذا) كان الحب الصادق مُتبادلاً بين الرسول ﷺ وأصحابه الفضلاء . . الذين كانوا يفتدون الرسول ﷺ بكل غَال ورخيص . . حتى إن أحدهم أسرف في معركة من المعارك . . ثم أراد الأعداء بعد ذلك أن يقتلوه . . فسألوه أولاً: ما رأيك لو تركناك تعود إلى أهلِكَ سالمًا . . ثم أتينا بمحمد مكانك لكي يُقتل بدلاً منك . . فقال لهم: إنني لا أقبل أبداً أن أعود إلى أهلي سالمًا ونبيي يصاب بعثرة في إصبعه . فقتلوه .

(٢) أي: من حزني عليه .

(١) أي: فزرتة .

وكان أحد الشعراء العرب قد شاهد هذا الموقف . . فقال واصفاً

إياه :

أَسْرَتْ قَرِيْشٌ مُسْلِمًا^(١) فِي غَزْوَةٍ فَمَضَى بِلَا وَجَلٍ^(٢) إِلَى السِّيَافِ
سَأَلُوهُ هَلْ يُرْضِيكَ أَنْكَ سَأَلْمُ وَلَكَ النَّبِيُّ فِدَى مِنْ الْإِتْلَافِ
فَأَجَابَ: كَلَّا، لَا نَجُوتُ مِنَ الرَّدَى وَيُصَابُ أَنْفُ مُحَمَّدٍ بِرُعَافٍ^(٣)

* * *

(بل) إن الأصحاب - عليهم جميعاً رضوان الله - كانوا يفعلون الخيرات ، ويتركون المنكرات : حباً لرسول الله ﷺ .

وقد قرأت - توضيحاً لهذا - أن النبي ﷺ كان يجلس ذات يوم مع بعض الأصحاب الفضلاء الذين كان في مقدمتهم الخلفاء الراشدون عليهم رضوان الله . . فأراد أن يجعل من جلسته هذه مجلساً تربوياً من خلال حوار يُجريه بين الخلفاء الراشدين ينتفع به جميع الحاضرين من الأصحاب وغيرهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . . (فقال) - كما قرأت في كتاب « المتفرقات »^(٤) تحت عنوان :

(١) هو زيد بن الدثنة رضي الله عنه .

(٢) أي : بلا خوف .

(٣) (الرُعَاف) : الدم يخرج من الأنف .

(٤) لفضيلة الشيخ أحمد عيسى عاشور - عليه رحمة الله - طبعة دار الاعتصام .

الثلاثيات المباركات

.. قال ﷺ لأبي بكر الصديق رضي عنه : أَتُحِبُّ مِنَ الدُّنْيَا شَيْئًا ؟ .
فقال : نَعَمْ ، أَحَبُّ لَأَجْلِكَ ثَلَاثًا :

« نَظَرِي إِلَيْكَ ، وَجُلُوسِي بَيْنَ يَدَيْكَ ، وَإِنْفَاقِي مَالِي عَلَيْكَ » .

ثم قال ﷺ لعمر بن الخطاب رضي عنه : أَتُحِبُّ مِنَ الدُّنْيَا شَيْئًا ؟ .
فقال : نَعَمْ ، أَحَبُّ لَأَجْلِكَ ثَلَاثًا :

« أَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ وَلَوْ كَانَ سِرًّا ، وَنَهْيٌ عَنِ مُنْكَرٍ وَلَوْ كَانَ جَهْرًا ، وَقَوْلُ
الْحَقِّ وَلَوْ كَانَ مُرًّا » .

ثم قال ﷺ لعثمان بن عفان رضي عنه : أَتُحِبُّ مِنَ الدُّنْيَا شَيْئًا ؟ .
فقال : نَعَمْ ، أَحَبُّ لَأَجْلِكَ ثَلَاثًا :

« إِطْعَامُ الطَّعَامِ ، وَإِفْشَاءُ السَّلَامِ ، وَرَكَعَاتُ اللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامَ » .

ثم قال ﷺ للإمام عليّ - كرم الله وجهه - : أَتُحِبُّ مِنَ الدُّنْيَا شَيْئًا ؟ .
فقال : نَعَمْ ، أَحَبُّ لَأَجْلِكَ ثَلَاثًا :

« إِكْرَامُ الضَّعِيفِ ، وَالصِّيَامُ فِي الصَّيْفِ ، وَضَرْبُ أَعْنَاقِ الْمُشْرِكِينَ
بِالسَّيْفِ » .

** ثم بعد ذلك قال الرسول ﷺ لهم :

« وَأَنَا أَحَبُّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثًا : الطَّيِّبُ ، وَالنِّسَاءُ ^(١) ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ » .

وبعد ذلك ورد أن جبريل عليه السلام هبط على الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، وقال له :

« الْعَلَى الْأَعْلَى يُقْرَنُكَ السَّلَامُ ، وَيَقُولُ لَكَ إِنَّهُ يَحِبُّ ثَلَاثًا :

« لِسَانَ ذَاكِرٍ ، وَقَلْبَ شَاكِرٍ ، وَجَسَدٌ عَلَى الْبَلَاءِ صَابِرٌ » .

ثم قال جبريل عليه السلام : وأنا أحب ثلاثًا :

« تَبْلِيغُ الرِّسَالَةِ ، وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ ، وَالْمَسَاكِينِ » .

ثم بعد ذلك . . وعندما علم الأئمة الأربعة رضي الله عنهم بهذا الخبر :

* قال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه : وأنا أحب من الدنيا ثلاثًا :

« تَحْصِيلُ الْعِلْمِ فِي طَوْلِ اللَّيَالِي ، وَتَرْكُ التَّرَفِّعِ وَالتَّعَالِي ، وَقَلْبٌ مِنْ حُبِّ الدُّنْيَا خَالٍ » .

* وقال الإمام مالك رضي الله عنه : وأنا أحب من الدنيا ثلاثًا :

« مُجَاوِرَةٌ رَوْضَتِهِ رضي الله عنه وَمُلَازِمَةٌ تَرْبَتِهِ ^(٢) ، وَاحْتِرَامُ أَهْلِ بَيْتِهِ » .

(١) وورد أن النبي ﷺ قال هذا أمام أصحابه حتى يكون قدوة صالحة لهم في احترام المرأة الصالحة . . (وذلك) لأن بعضهم كان يحقن المرأة لأنه كان ينظر إليها على أنها سلعة أو على أنها جارية تباع وتشتري . والنبي ﷺ في قوله هذا كان يعنى زوجاته رضي الله عنهن . (٢) أى : التراب الذى كان يسير عليه الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه . أى أنه يحب ملازمة مدينة الرسول ﷺ ولا يريد مفارقتها .

* وقال الإمام الشافعي رحمته : وأنا أحب من الدنيا ثلاثاً :

«عِشْرَةُ الْخَلْقِ بِالسَّلَاطَةِ، وَتَرْكُ مَا يُؤَدِّي إِلَى التَّكْلِيفِ، وَالِاقْتِدَاءُ
بِطَرِيقِ التَّصَوُّفِ (١)» .

* وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمته : وأنا أحبُّ من الدنيا ثلاثاً :

«مِتَابَعَةُ النَّبِيِّ صلوات الله عليه فِي أَخْبَارِهِ، وَالتَّبَرُّكُ بِأَنْوَارِهِ، وَسُلُوكُ طَرِيقِ
آثَارِهِ» .

(فلنكن) نحن كذلك من المتشبهين بهؤلاء الرجال الأوائل الذين
أحبوا الله ورسوله حباً حقيقياً . . فكانوا الهذا . أو من أجل هذا . أهلاً
لمحبة الله ورسوله لهم . . فاستحقوا بهذا أن يكونوا من الذين ﴿ أَنْعَمَ
اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴾ (٢) .

(وذلك) لأن الحب لله، وفي الله، هو الأساس في كل خير . . بل
ولن يتذوق الإنسان المسلم مناً حلاوة الإيمان إلا به .
فعن أنس رحمته أن النبي صلوات الله عليه قال :

(١) وهذا التصوف الذي يعنيه الشافعي : هو الصفاء . كما يشير أحدهم إلى هذا في قوله :

ولست أمتح هذا الاسم غير قتي صافي فصوفي حتى سمي الصوفي

(٢) سورة النساء : ٦٩ .

« ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَدَّفَ فِي النَّارِ ». (رواه البخارى)

وفى رواية: « ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ وَطَعْمَهُ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ فِي اللَّهِ، وَيَبْغِضَ فِي اللَّهِ، وَأَنْ تُؤَقَّدَ نَارٌ عَظِيمَةٌ فَيَقَعُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا ». (رواه البخارى، ومسلم)

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه:

« إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي، الْيَوْمَ أُظْلِمُ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا لِي ». (رواه مسلم)

وعن أنس رضي الله عنه: « أَنْ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه: مَتَى السَّاعَةُ؟ ».

قال: « وَمَا أَعَدَدْتُ لَهَا؟ ». قال: لَا شَيْءَ إِلَّا أَنِّي أَحَبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ.

قال: « أَنْتَ مَعَ مَنْ أُحِبِّبْتَ ». قال أنس: فَمَا فَرَحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا بِقَوْلِ

النَّبِيِّ صلوات الله عليه: « أَنْتَ مَعَ مَنْ أُحِبِّبْتَ ». قال أنس: فَأَنَا أَحَبُّ النَّبِيِّ صلوات الله عليه

وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ ».

(رواه البخارى، ومسلم)

(وإذا) كان الأصحاب - عليهم جميعاً رضوان الله - قد أحبوا رسول الله ﷺ بصدق وإخلاص . . (فإننا) كذلك ينبغي علينا أن نصدق في حبنا لرسول الله ﷺ . . (بمعنى) أن نكون من المتمسكين بسنته، والمتأدبين بأدابه، والمتخلفين بأخلاقه صلوات الله وسلامه عليه . . فقد ورد في الحديث الشريف :

« مَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ » .

(فعلى) الأخ المسلم أن يلاحظ كل هذا حتى يكون صادقاً في حبه لله ورسوله ﷺ . . مع ملاحظة قول الله تبارك وتعالى لحبيبه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه :

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (١) .

(وعليه) بالإكثار من الصلاة والسلام على الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه - صاحب الخطب الجامعة التي وقفنا عليها - تنفيذاً لأمر الله تعالى في قوله الذي يأمر فيه المؤمنين - ذكورهم وإناثهم - بالصلاة والسلام على رسول الله ﷺ بعد أن صلى عليه مع ملائكته :

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا

تَسْلِيمًا ﴾ (٢) .

(١) سورة آل عمران : ٣١ .

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦ .

مع ملاحظة : أن الصلاة من الله رحمة، ومن الملائكة استغفار،
ومن المؤمنين دعاء .

* ولله دَرُّ من قال :

إِنْ شِئْتَ مِنْ بَعْدِ الضَّلَالَةِ تَهْتَدِي (صَلَّى) عَلَى الْهَادِي الْبَشِيرِ مُحَمَّدٍ
يَا قَوْزَ مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يَحْوِي الْأَمَانِي بِالنَّعِيمِ السَّرْمَدِي
يَا قَوْمَنَا صَلُّوا عَلَيْهِ فَتَذَفَّرُوا بِالْبِشْرِ وَالْعَيْشِ الْهَنِيِّ الْأَرْغَدِ
صَلُّوا عَلَيْهِ وَارْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ يُغْفَرُ لَكُمْ فِي يَوْمِكُمْ قَبْلَ الْغَدِ
وَيَحِطُّكُمْ رَبُّ الْأَنَامِ بِفَضْلِهِ بِأَفْضَلِ الْجَنَّاتِ يَوْمَ الْمَوْعِدِ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ مَا لَاحَ فِي الْأَفَاقِ نَجْمُ الْفَرْقَدِ

* * *

* (وقد) قيل في بعض الروايات :

إن للمصلين على سيد المرسلين عشر كرامات :

(إحداهن) : صلاة الملك الغفار .

(الثانية) : شفاعة النبي المختار .

(الثالثة) : الاقتداء بالملائكة الأبرار .

(الرابعة) : مخالفة المنافقين والكفار .

(الخامسة) : محو الخطايا والأوزار .

(السادسة): قضاء الحوائج والأوطار .

(السابعة): تنوير الظواهر والأسرار .

(الثامنة): النجاة من النار .

(التاسعة): دخول دار القرار .

(العاشر): سلام الملك العفّار .

وما أجمل أن يقول الأخ المسلم مع الإمام الكبير الشيخ محمود
خطّاب السبكي^(١) وهو يمدح رسول الله ﷺ :

طَهَ الَّذِي عَمَّ الْأَنَامَ بِفَضْلِهِ سَادَ النَّبِيِّينَ الْأَلَى مِنْ قَبْلِهِ
هُوَ صَفْوَةُ الْبَارِي وَخَاتَمُ رُسُلِهِ يَا أَيُّهَا الْمُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلِهِ
إِنْ تَبَتَّغُوا أَجْرًا يَكُونُ جَزِيلًا صَلُّوا عَلَيْهِ بِكُرَّةٍ وَأَصِيلًا

اللَّهُ أَدْنَاهُ إِلَيْهِ وَقَرِيبًا فَعَلًا مَقَامًا لَمْ يَنْلُهُ أَوْلُو النَّبَا
وَلَهُ يَقُولُ: ابْشُرْ فَأَنْتَ الْمُجْتَبَى أَهْلًا وَسَهْلًا بِالْحَبِيبِ وَمَرْحَبًا
أَنْتَ الَّذِي تَسْتَوْجِبُ التَّفْضِيلًا صَلُّوا عَلَيْهِ بِكُرَّةٍ وَأَصِيلًا

(١) كما جاء في كتابه: (المقامات العلية) في النشأة الفخيمة النبوية . . فعليه رحمة
الله . . وجزاه الله عنا أحسن الجزاء . . فهو محيي السنة في القرن العشرين . .
ومؤسس الجمعيات الشرعية .

مَلَأَتْ نُبُوَّتُهُ الْوُجُودَ وَأَظْهَرَ
وَاسْتَبْشَرَتْ فَرْحاً بِبِعْنَتِهِ الْوَرَى
بِحُسَامِهِ الدِّينَ الصَّخِيحَ فَاسْفَرَا
وَمَحَا الضَّلَالَ كَمَا بِذَلِكَ خَبَرَا
نَصُّ الْكِتَابِ مُفَصَّلًا تَفْصِيلاً

وَالسُّحْبُ لَا تَحْكِي عَطَايَاهُ فَمَا
أَنْعَمَ بِمَنْ أَسْنَى الْكَمَالِ لَهُ أَنْمَى
أُنْدَاهُ بَحْرًا بِالسَّخَاءِ وَأَكْرَمَا
مَوْلَاهُ قَدْ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَا
صَلُّوا عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً
مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ كَانَ بِخِيلاً

(ثم اعمل) كذلك بنصيحته التي يقول فيها أيضاً فى مقاماته العلية :

اعْمَلْ بِأَثَارِ النَّبِيِّ
وَأَقْبَلْ نَصِيحَتَهَا ففِيهَا
وَأَشَدُّ يَمِينِكَ بِالشَّرِيعَةِ
خَيْرُ الْبَرِيَّةِ أَحْمَدُ
ذُو قُوَّةٍ عِنْدَ الْإِلَهِ
زَانَ النَّبِيُّونَ الْوَرَى
فَإِنَّهَا النُّورُ الْمُبِينُ
الْعِزُّ وَالشَّرْفُ الْمَكِينُ
إِنَّهَا السَّبَبُ الْمَتِينُ
وَالْحَقُّ يَصْحَبُهُ الْيَقِينُ
هُ مَقْرَبٌ مِنْهُ مَكِينُ
وَمَحَمَّدٌ لَهُمْ يَزِينُ
هُ مُؤَيَّدٌ فِيهَا أَمِينُ
هَادٍ إِلَى طُرُقِ النَّجَا

وَالهَجِّ بِمَدْحِ الهَاشِمِ سِىُّ فَإِنَّهُ الحِصْنُ الحَصِينُ
وَلَنْتُنَّ فَعَلْتُمْ فَلَنْ تَفُو تَكْ - بَعْدَ ذَا - دُنْيَا وَدِينُ

* * *

فَاللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مَنْ انتخبته مِنْ أَشْرَفِ قَبِيلَةٍ، وَجَعَلْتَهُ إِلَيْكَ
وَسِيلَةً، وَجَعَلْتَ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ أَكْرَمَ فَضِيلَةٍ، وَأَعْلَيْتَهُ إِلَى الْمَرْتَبَةِ
الْجَلِيلَةِ، وَجَعَلْتَهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عِبَادِكَ وَسِيلَةً، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ صَلَاةً
تَجْعَلُهَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ عَذَابِكَ حِجَابًا، وَتَجْعَلُهَا لَنَا إِلَى كِرَامَتِكَ مَثَابًا،
وَتَفْتَحُ لَنَا بِهَا إِلَى الْجَنَّةِ الْعَالِيَةِ بَابًا. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَدَدَ قَطْرِ
الْأَمْطَارِ، وَعَدَدَ رِمَالِ الْأُودِيَةِ وَالْقِفَارِ، وَعَدَدَ وَرَقِ الْأَشْجَارِ، وَعَدَدَ رَبْدِ
الْبَحَارِ، وَعَدَدَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ، وَعَدَدَ الْأَبْرَارِ وَالْفُجَّارِ، وَعَدَدَ
مَا يَخْتَلِجُ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَاجْعَلِ اللَّهُمَّ صَلَاتَنَا عَلَيْهِ حِجَابًا مِنْ
عَذَابِ دَارِ الْبُورَارِ، وَسَبَبًا لِإِبَاحَةِ دَارِ الْقَرَارِ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ
النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ، وَسَيِّدِ الْأَبْرَارِ، وَزَيْنِ الْمُرْسَلِينَ الْأَخْيَارِ، وَأَكْرَمِ مَنْ
أَظْلَمَ عَلَيْهِ اللَّيْلُ وَأَشْرَقَ عَلَيْهِ النَّهَارُ، أَبِي الْقَاسِمِ النَّبِيِّ الصَّادِقِ
الْمُخْتَارِ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ عَدَدَ مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ وَعَدَدَ مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ
كَمَا أَمَرْتَ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ، وَصَلِّ عَلَيْهِ مَا تُحِبُّ أَنْ يُصَلَّى عَلَيْهِ، وَصَلِّ

عَلَيْهِ كَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُصَلَّى عَلَيْهِ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى النَّبِيِّ الصَّادِقِ
الْأَوَّابِ، وَعَلَى ذُرِّيَّتِهِ وَعَلَى جَمِيعِ الْقَرَابَةِ وَالْأَصْحَابِ، وَتَوَقَّنَا اللَّهُمَّ
عَلَى سُنَّتِهِ، وَاجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ وِلَايَتِهِ، وَانْقَعْنَا بِهِدَايَتِهِ وَعِنَايَتِهِ،
وَأَدْخِلْنَا الْجَنَّةَ مَعَ صَحَابَتِهِ .. الْأَبْرَارِ .. الطَّيِّبِينَ الْأَخْيَارِ .

أَرْكَى صَلَاةٍ مَعَ سَلَامٍ عَاطِرٍ يَنْمُو بِهِ يَوْمَ الْحَصَادِ حَصَادِي^(١)
اللهم آمين .. اللهم آمين .. اللهم آمين .

* * *

(١) بستان الواعظين : ص ٤٠١ وما بعدها .

أهم مراجع الكتاب

- ١- القرآن الكريم .
- ٢- مختصر تفسير الطبرى ، طبعة دار التراث العربى ، القاهرة .
- ٣- (الدين الخالص) ج ٤ للإمام محمود خطاب السبكي - عليه رحمة الله .
- ٤- (جمهرة خطب العرب فى العصور العربية الزاهرة) - (ثلاثة مجلدات) ، تأليف الأستاذ أحمد زكى صفوت - طبعة شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده - بمصر .
- ٥- (الترغيب والترهيب) للإمام المنذرى (أربعة مجلدات) - طبعة مكتبة الجمهورية العربية بمصر . . وتحقيق وتعليق فضيلة الشيخ خليل الهراس - رحمه الله .
- ٦- (رياض الصالحين) للإمام النووى ، طبعة دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابى الحلبي وشركاه .
- ٧- (مختار الصحاح) طبعة وزارة المعارف - للشيخ الإمام محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى - رحمه الله .
- ٨- (حياة الصحابة) للشيخ محمد يوسف الكاندهلوى (ثلاثة مجلدات) طبعة دار التراث العربى - القاهرة .